الأعلام الجغرافية والأمم المتحدة ★

للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى

لا يمكن لأى مشروع تنموى - كيفما كان شكله وحجمه - أن يتم دون أن تكون هناك خريطة تحدد موقع المشروع كخطوة أولى لمعرفة حظوظ نجاحه ، ولن تكون الخريطة قائمة إلا باشتمالها على عدد من الأعلام الجغرافية التى من شأنها أن تساعد على ضبط مكان المشروع وتحديد آفاقه .

وحتى يكون هناك ضبط للخريطة وللعلم الجغرافى يسهّل على الخبراء فى مختلف جهات العالم ، أن يلتقوا فيه على مائدة واحدةٍ ويتحدثوا بلسانٍ واحد ومصطلحٍ واحد ، فكرت الأمم المتحدة فى أن تعهد إلى المجلس الاقتصادى والاجتماعى (ECOSOC) بإنشاء مؤتمر عالمى مفتوح بصفة مستمرة يُعنَى بالخرائط وبضبط العَلَم الجغرافى ليس فقط لأن ذلك وسيلة فعالة من وسائل التنمية . وليس فقط لأنه وسيلة فعالة من وسائل التقارب بين الأمم ، ولكن لأن العَلَم الجغرافى تراث من حق كل بلد ، بل ومن واجبها كذلك أن تحتفظ به وتنطق به كما هو عندها . ومن حقها أن تفرض على الأمم المتحدة نفسِها طريقة النطق بذلك العلم وطريقة كتابته على سائر الخرائط التى تروج فى العالم كله ..

وإن الدور الهام الذى تقوم به الخريطة فى عالمنا الحاضر بما تجدد فيه من تطورات ، وماعرفه من تغيّرات . كلّ ذلك يكوّن تحدياتٍ جديدة للمهتمين بالخريطة وبالتالى للمهتمين بالعلم الجغرافى حتى نسهل الاتصالات وحتى نتجنب الأخطاء التى حرص أسلافنا على تلافيها فى العلم الجغرافى الذى كان تحريفه عندهم بمثابة تحريفِ نصٍ مقدس !!

نحن نعلم أن السبب فى تأليف ياقوت الحموى لموسوعته العظيمة : (معجم البلدان) إنما كان ضبطَ علم جغرافى ورد فى حديث نبوى شريف ، فلقد كان ياقوت بمرو الشاه خان ، فى مجلس يناقش موضوعَ أسواق العرب فى الجاهلية وضبطِ كلمة (حُبَاشة) حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتجر لحساب السيدة خديجة ، فرأى ياقوت أنها بضم الحاء، ورأى أحدهم أنها بفتح الحاء ، فاندفع ياقوت يبحث عن نصوص تؤيد ما ذهب إليه وطال بحثه حتى وقع على مايؤيد رأيه ، ومن هنا جاء تفكيره فى وضع موسوعة تحتوى على 12.953 فقرة تضبط أسماء البلدان على ما يقوله هو فى المقدمة مغتنما هذه الفرصة ليردَّ

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذى القعدة سنة ١٤١٥هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥م .

على المثل السائر القائل : « ما ترك الأول للآخر شيئاً » وليردّد قولة الجاحظ : « ليس هناك أضرُّ على العِلم من ذلك المثل الذى يفتر الهمة ويضعف المنة » على حد تعبير ياقوت ..!

فمن أجل ضبط العَلَم الجغرافى اليوم تمت الدعوة فى الأمم المتحدة إلى التعاون الدولى من أجل تحقيق رسالة المؤتمر العالمى الهادفة ، بكل صدق ، إلى غرضٍ شريف يتمثل فى أن تضيف كل دولة ماعندها من رصيد حول هذا الموضوع ؛ موضوع العلم الجغرافى تأليفًا وجرداً وضْبطًا سواء على صعيد الخريطة أو على صعيد السجلات ...

وقد أوصى المجلس الاقتصادى والاجتماعى كذلك بإنشاء هيئة للخبراء فى الأعلام الجغرافية تعمل على إنجاح أهداف المؤتمر الدّولى الذى نتحدث عنه ، وعلى هيئة الخبراء أن تجتمع على رأس كل سنتين .. حيث يستمع الخبراء لتقارير كل دولة بما أنجزته من أعمال فى ميدان الخريطة على صعيد الجامعة أو على صعيد المجامع والأكاديميات والجمعيات الجغرافية الوطنية . وهنا نجد بطبيعة الحال عدداً من الأقسام :

قسم أوربا ، وقسم أمريكا ، وقسم آسيا ، وقسم إفريقيا ، وقسم العالم العربى .

وبالرغم مما يتراءى من أن هذا المؤتمر علمى تقنى ، لكنا نلاحظ أنه يتخذ أحيانًا طابعًا سياسيًا عندما يتعلق الأمر بالانقسامات والخلافات الناشئة بين الدول عندما تتعارض مصالحها على الحدود فيما بينها ، فهنا نجد أن دولة ما تختار هذا العَلَم ليعبر عن إقليم ما من أقاليمها بينما تحاول الدولة الجارة أن تفرض عَلَمًا محدداً تعتقد أنه هو الذى يؤدى الحقيقة التاريخية .

وأمامنا اليوم الأعلام الجغرافية فى دولة فلسطين التى نراها تتعرض للتحريف والتزييف ، ومن هنا كان اهتمام المؤتمر بمحاربة الأسماء الدخيلة وإعطاء الشرعية للأعلام الأصيلة التى وردت فى كتب التراث العربى .

ينبغى أن أذكر هنا أن اللغة العربية - بفضل عملنا الدائب المستمر - أصبحت لغةً رسميةً للمؤتمر ، وأصبح فى استطاعة الأعضاء العرب أن يختاروا - إذا شاءوا - أن يتحدثوا باللغة العربية التى تترجم فوراً إلى سائر الأعضاء الذين بلغ عددهم مئة وستين عضواً فى الدورة الأخيرة التى انعقدت فى نيويورك يونيه 1994 ، وفى استطاعة كل دولة عربية أن تقدم تقاريرها وخرائطها باللغة العربية .

وقد كان من أبرز مبرِّرات حضور اللغة العربية فى أعمال هذا المؤتمر العالمى ، أن هذه اللغة أسهمت بتآليفها فى الجغرافيا وبرجالها المرموقين فى الفكر الجغرافى ، أقول أسهمت بما يعتز به العالم اليوم من تراث جغرافى . وقد كان فى صدر ما يهتم به المؤتمر لتحقيق أهدافه طريقة أداء الحروف العربية بالحروف اللاتينية على نحو ما يهتم بطريقة نقل الحرف اليونانى والروسى مثلا إلى الحروف المتداولة .

الحرف العربي	مقترح بيروت المعدل	طريقة الموسوعة الإسلامية	المشروع المعروض للمصادقة
أ في الأول أُ إ في الوسط والآخر	A	A	A
	U	U	U
	I	I	I
	ↄ	ↄ	ↄ
ب	B	B	B
ت	T	T	T
ث	TH	TH	TH
ج	J	DJ	J
ح	Ḥ	Ḥ	Ḥ
خ	KH	KH	KH
د	Ḍ	D	D
ذ	DH	DH	DH
ر	R	R	R
ز	Z	Z	Z
ط	Ṭ	Ṭ	Ṭ
ظ	Ẓ	Ẓ	Ẓ
ك	K	K	K
ل	L	L	L
م	M	M	M
ن	N	N	N
ص	Ṣ	Ṣ	Ṣ
ض	Ḍ	Ḍ	Ḍ
ع	ʿ	C	C
غ	GH	GH	GH
ف	F	F	F
ق	Q	Ḳ	Q
س	S	S	S
ش	SH	SH	SH
ه	H	H	H
و	W	W	W
ي	Y	Y	Y

وهنا أذكر أننا . نحن المجموعة العربية فى المؤتمر - دائماً نصطدم بأنَّ الأخوة العرب لا يتفقون على طريقةٍ واحدةٍ على نحو ما تتفق عليه المجموعات الأخرى المهتمة - كما أشرنا - بأمر الحرف الروسى والحرف اليونانى .. لماذا لَمْ نتفق ؟ لأن كل واحد يريد أن يجر النار إلى قُرْصه كما يقول التعبير العربى .. بعضنا متأثر بما خلفه فيه الاستعمار الإنجليزى وبعضنا متأثر بما خلفه الاستعمار الفرنسى ، وأنتم تعلمون أن أمامنا فى المؤتمر العالمى ثلاثَ مشروعات :

١ - المشروع الذى يُعرف بمشروع بيروت المعدّل .

٢ - المشروع الشهير الذى تتبعه إلى اليوم الموسوعة الإسلامية .

٣ - المشروع الأخير المعروض للمصادقة .

وإذا كنا قد اتفقنا على معظم الحروف فإن هناك نقاطًا لا تزال محل خلاف (صورة من الجدول) .

أولاً - الجيم : الموسوعة تكتبها كذا DJ ونحن نتجنب حرف D ونكتفى بـ : J

ثانياً - الظاء : الموسوعة الإسلامية تكتبها Ẓ ونحن نتجنب حرف Z ونكتبها : D̲

ثالثاً - القاف : الموسوعة تكتبها K ونحن نكتبها : Q

وإلى جانب هذا يهتم المؤتمر العالمى بالطريقة المثلى التى تمكن من أداء الحرف اللاتينى بالحرف العربى ، أعنى الطريقة التى يقع عليها الاتفاق من سائر الدول العربية - وهنا نلاحظ أيضاً ومع الأسف - أن البلاد العربية منقسمة على نفسها حول هذا الموضوع ، وهكذا نجد إخواننا فى مصر ينطقون حرف الكاف المعقودة جيما ، مثلاً : (دوكول) يكتب فى المطبوعات المصرية (دوجول) ، و(كيب) يصبح (جيب) و(بيكوفيتش) يُسمى (بيجوفيتش) ، بينما إخواننا فى سوريا يؤدون حرف (ك) بالغين ، فيقولون (دوغول) ، و(غيب) أو (بيغوفيتس) ، بينما يكتبه المغاربة على أشكال أخرى .

وفى إطار التوصية التى صدرت عن الدورة السابعة عشرة للخبراء العالميين المنعقدة فى نيويورك (على ما أسلفنا) تم تأليف لجنةٍ خاصة لإعداد الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على إنشاء المؤتمر العالمى المذكور . وقد كان فى صدر ما فكرت فيه هذه اللجنة من تظاهراتٍ ثقافية تخصيص يومٍ فى السنة لتحسيس الجمهور بأهمية العلم الجغرافى ... وكان مما تقرر

من توصيات كذلك تكريم الرحالة المغربى الكبير أبى عبد الله محمد بن بطوطة الطنجى باعتباره أحد الروّاد المواقعيين (الطوبُّونيمِسط) الذين أسهموا بصفةٍ فعالة فى الحفاظ على العَلَم الجغرافى صيانةً وإنقاذاً من التحريف والتزييف .

فعلاً كان ابن بطوطة من الأوائل - إن لم يكن هو الأول - الذين حرصوا على أن يَشْكُلوا العلم الجغرافى بالتحريكات والتسكينات الموصوفة ، أى إنه عندما يورد العَلَم سواء كان فى المشرق أو المغرب يُحركه ، وجدناه مثلاً عندما يذكر مدينة (بَيْوَم قُطْلُوا) يشكلها قائلاً :إنها بباء موحدة مفتوحة وياء ساكنة وواو مفتوحة وميم ، وقاف مضمومة وطاء مسكنة ولام مضمومة وواو .

وقد أكبر زملاؤنا فى هذا المؤتمر العالمى من بلاد الصين الذين حرص ابن بطوطة على ذلك النوع من الضبط مؤكدين أنه يدل على أن ابن بطوطة زار الصين فعلاً خلافًا لما أشاعه بعض المستشرقين الذين أنكروا أن يكون ابن بطوطة وضع قدمه فى الصين ! لمجرد أنه استعصى عليه تحديد موقع عَلَمٍ من الأعلام .

أريد القول : إن الخبراء الجغرافيين تنبهوا للمعروف والجميل الذى قدمه الرحالة المغربى للعَلَم الجغرافى الذى لولا صنيعُه ذاك فى العصور الوسطى لضاعت علينا طريقة النطق الصحيح بعددٍ كبيرٍ من الأعلام الجغرافية .

وقد كان مما يهتم به المؤتمر العالمى للأسماء الجغرافية الطريقة المثلى لتلقى العلم الجغرافى من سكان المناطق التى نلتقط فيها هذا العَلَم .. فعلاوةً على المصادر التاريخية التى نستقى منها العَلَم الجغرافى سواء أكانت هذه المصادر نثراً أم شعراً ، وعلاوةً على التآليف الجغرافية المخصصة للمواقع الجغرافية ، علاوةً على كلّ ذلك فإن المصادر الشفوية لها أثرها على مصداقية الحديث عن الأعلام الجغرافية تمامًا على نحو ماكان أسلافنا من أمثال ياقوت الحموى والشريف الإدريسى يتلقون هذه الأسماء من سكان النواحى ...

وقد حرص المؤتمر العالمى لتنميط الأعلام الجغرافية على الحصول على أكبر ما يمكن من مصطلحاتٍ جغرافية تتفق عليها المجامع والأكاديميات فى كل جهات العالم ، وعندما كنا نتحدث للخبراء هناك عن جهد مجمعنا هنا فى القاهرة وعما يقوم به من أعمال كنّا نتلقى مختلف الإشادات وموفور التهانى .

ولابد أن أذكر هنا أن أعمال المؤتمر لا تقتصر على الأعلام الجغرافية على وجه البسيطة ولكنها تتجاوزها إلى ابتكار أعلام تحتاجها التطورات التى ظهرت على الساحة العلمية، تحتاجها فى بطون البحار عندما أصبحنا نرى ونسمع عن رواد البحار الذين يقدمون لنا عبر التلفاز ، تقاريرهم عما يوجد تحت الماء ....

المؤتمر العالمى يطلب إلى أعضائه أن يساعدوه على تقديم أسماء وابتكار أعلام لتلك العوالم التى نكتشفها يومًا عن يوم .

وعلى نحو ما نقوله عن جوف البحار نقوله كذلك عن الفضاء الذى أصبح مغزوًا من لدن العلماء حيث أصبحنا نشاهد نزول الإنسان على سطح القمر .

وهكذا فإن المؤتمر العالمى للأعلام الجغرافية تجاوز أيضًا عالم الأرضين ليطلب إلى المجموعة العربية أن ترشح له أسماءً لعلماء أعلام ، يطلقها على مناطق القمر حتى تصبح مصطلحاتٍ يستعملها رواد الفضاء .

تلك طموحات المؤتمر الدولى الذى اشترك فى أعمال خبرائه ، السنة الماضية - كما قلنا - 160 مُمثلاً وملاحظًا عن ستٍّ وستين دولة من دول العالم وست مؤسسات متخصصة ومنظماتٍ غير حكومية وثلاث منظمات علمية دولية ..

والإجماع من كلّ هؤلاء على ضرورة أنْ تنشئ كل دولة لجنة أو هيئة تتألف من المؤرخين والجغرافيين والاجتماعيين تنكب على جمع وضبط الأعلام الجغرافية الموجودة بها على أساس خريطة مدققة تعتمد على مقياس لايقل عن 1/50000.

ومن المهم أن أذكر أن بعض الدول الغربية (بِالْغَين) ماضية فى طريقها لجرد سائر أعلامها الجغرافية (كانادا) مثلاً تسير فى مسح كل أراضيها - على سعتها - لإعداد سجلاتٍ تضبط الأعلام بمساحتها ومعناها .. وعندما ينتهى العلماء الجغرافيون إلى الحقيقة النهائية حول علم من الأعلام تتخذ الحكومة - على أعلى مستوى - قراراً باعتماد وتزكية ما وصل إليه علماؤها فى الجغرافية ، ومن ثمت فإنه لا يجوز لأية سلطةٍ ولا جهةٍ أن تتصرف فى ذلك العَلَم تبديلاً أو تحريفاً ، وهم يعتبرون أن أى تغيير يلحق بذلك العَلَم يعتبر عدوانًا على التراث يُتابع صاحبه ...!

وفى مقابلة هذا نجد أننا ، فى عالمنا العربى الزاخر بكل المعطيات ، مقصّرون أوّلا فى إعداد السجلات وفى تدقيق النشرات الجغرافية التى تتعلق بكل دولة ؛ فإننا قد نقرأ أو نسمع عن اسمٍ جغرافى يُنطق به محرَّفًا

فى وسائل إعلامنا : « إذاعة ، تلفزة ، صحافة » ، ولا نقوم بواجبنا فى تصحيح الخطأ والعودة إلى الصواب ولا نقوم بواجبنا فى تحسيس الجمهور بأهمية العلم الجغرافى : مَن أملاه علينا ؟ وما معناه ؟ وكيف تطور النطق به ؟ وهل هو من أصل عربى أو من أصل آخر ؟ وكيف يضبط ويشكل ؟

لا يوجد فى الجهات الأخرى مؤلَّف على نحو رحلة الرحَّالة ابن بطوطة التى اهتمت بضبط الأعلام الجغرافية حرفًا حرفًا ، تلك الرحلة التى يُنعت صاحبها اليوم من لدن علماء الغرب على أنه أعظم رحالةٍ فى تاريخ البشرية جمعاء .

ولقط طلعت علينا المجلة الأمريكية الشهيرة (NATIONAL GEOGRAPHIC) فى عددها : دجنبر 1991 ببحثٍ مخصصٍ للرَحَّالة ابن بطوطة رصدت أموالاً طائلة لفريق علمى يقوده السيد طوماس أبير كرومبى) (Thomas j ABERCROMBIE) الذى قام مع فريقه بتتبع خطوات ابن بطوطة ابتداء من مدينة طنجة إلى طايوان .. مرحلة مرحلة .. وصدر عنه تقرير كان من أمتع التقارير التى طالعتنا بها المجلة المذكورة فى خمسين صفحة .

وقد كان نصيبنا ، نحن العرب ، من هذه الدراسة أننا قمنا فى إحدى مجلاتنا بترجمة بعض فصولها ترجمة مُبْتسرة غفلت عن الكثير من الأهداف التى توخاها التقرير القيم .

ومن هنا نرى أنه أصبح لزاما علينا أن نجند ناشئتنا وسائر أطرنا فى التعليم الجامعى خاصة ، لكى يخصصوا ندوات لهم حول هذه الأعلام الجغرافية فى مناطقهم وأقاليمهم ، كما يجب أن نجند وسائل أعلامنا على تقديم تعليقات عن الأماكن الجغرافية التى نقلت عن أسلافنا فى العالم العربى والإسلامى ..

أيها الزملاء الأعزاء :

إنى لم أقل كل شىء عن المؤتمر العالمى للأعلام الجغرافية . لقد كان علىّ أن أتحدث عن لائحته الداخلية .. وكان علىّ أن استعرض أمامكم أعمال لجانه الثلاثة .

- اللجنة التى تهتم بالمناهج المتبعة داخل كل دولة لإنجاح الغرض .
- اللجنة التقنية التى تهتم بوسائل ضبط الأعلام .
- اللجنة المهتمة بالمناهج الدولية .

ويحرص المؤتمر العام للأمم المتحدة على أن يظل يقظًا ومتنبهًا لكل التوصيات التى

تقتضيها الظروف أو يُمليها الواقع ، وهكذا وجدناه يوصى بإنشاء قسم يختص بالأعلام الجغرافية الواقعة فى جنوب إفريقيا كما ينشئ قسمًا لأوربا الشرقية وشمال آسيا ...

كما نجده يعيد النظر فى تركيبة قسم أمريكا اللاتينية . وبين يدى المؤتمر الآن قضية إسرائيل التى كانت ضمن مجموعة إيران التى ترفض اليوم أن تكون مع إسرائيل نظراً لكون اللغة لا تجمع بينهما ، واقترحت إحدى الدول أن تنضم إسرائيل إلى المجموعة العربية التى تملصت بدورها من أن تكون إسرائيل ضمن مجموعتها ، الأمر الذى دعا الأمم المتحدة إلى إنشاء قسم خاص بالدولة العبرية ... !

والمؤتمر يظل مفتوح الأبواب لكل تغييرٍ يقع فى بلاد مَا لعلم جغرافى .. ولو كان اسم دولةٍ أو اسم عاصمةٍ حتى يأخذ المؤتمر ذلك بعين الاعتبار . والمقرر أن يتم عقد المؤتمر السابع فى طهران بعد سنتين من هذا التاريخ .

والذى أريد أن أختم به حديثى المقتضب هذا أن تنصبَّ توصياتنا فى هذه الدورة الواحدة والستين من دورات مجمع اللغة العربية على الاهتمام بالعَلَم الجغرافى فى الدول العربية ستكون هذه التوصية إسهامًا جاداً فى تحديد هوية كل دولة عربية بما تشتمل عليه من قبائلَ وعشائرَ وما تحتوى عليه هذه القبائلُ والعشائر من مواقع جغرافية لها دون شك تاريخٌ يُروى ومن شأنه أن يساعد على معرفة الذاتية العربية .

وأرجو أن يكون من بين التوصيات إنشاء خلايا فى الشُّعب الجغرافية بمختلف الجامعات العلمية بكل البلاد العربية ، خلايا تشتغل على إعداد لوائح للأعلام الجغرافية الموجودة فى بلادها ، فليس من المعقول أبداً أن نجد اسمًا لموقعٍ جغرافى فى الجزيرة العربية مثلاً مرَّ به بالأمس رحالة من رحالاتنا وضبطه بالاسم والنعت ثم إننا نعجز اليوم عن أن نجد له أثراً .

ولابد أن ندعو إلى تشجيع كلّ الدراسات التى تهتم بالفكر الجغرافى لدى العرب ، ونعنى بصفة خاصة بالعَلَم الجغرافى . وإنى لأذهب أكثر من هذا إلى ضرورة ربط مجمعنا صلته بسائر المجامع والأكاديميات فى العالم لتوحيد الجهود مع كل تلك المؤسسات من أجل إبراز أهمية التعريف بالعَلَم الجغرافى وأهميته فى الحديث عن الهُوية العربية .

عبد الهادى التازى

عضو المجمع من المغرب

بعض الأعلام الجغرافية المشهورة ★

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

من هذه الأعلام الحبشة :

(١) فى كتاب المسعودى مروج الذهب أنَّ بلاد الحبشة حارة يابسة وأن مبدأها من أرض الجنادل جنوب أسوان .

وهذا النصف يصدق على بلدنا السودان .

وفى كتاب هيرودتس (The Hiorories) المترجم عنه إلى الإنجليزية أن مبدأ إثيوبيا من عند جزيرة الفيل بأسوان وأن عاصمة إثيوبيا مروى .

ومروى المعروفة بهذا الاسم عند الشلال الرابع من نهر النيل فى الشاطئ الأيسر منه . بإزاء كريمة التى هى إحدى نهايات الخطوط الحديدية السودانية وبالقرب منها جبل البركل وفى ناحية آثار قديمة ، ولكن هيرودتس لم يعن مروى هذه ، وإنما عنى المكان الذى يعرف باسم البجراوية بالقرب من بلدة كبوشية شمالى مدينة شندى على الشاطئ الأيمن من النيل ، وفى البجراوية آثار قديمة ، من معابد ومصانع وبالقرب منها عدد كبير من الأهرام أقرب إلى حجم هرم الجزيرة الأصفر وهى من حجر الرمل وبناؤها محكم وهى حادة الانخراط يقال إنها أكبر مجموعة من الأهرام فى العالم ذكر ذلك صاحب « الممر النوبى » The nubian Corrido نقلا فيما أحسب عن سير دوجلاس نيوبلد فى رسائله وهذا قد كان السكرتير الإدارى فى السودان فى السنوات مابين أواخر الثلاثين إلى أواسط الأربعين .

وكان أحد أساتذة الآثار الوافدين علينا ممتحنين خارجيين بجامعة الخرطوم يذكر أن اسم البجراوية أقرب أن يكون هو الاسم الصحيح من اسم مروى ، وهذا ترجيح استحسانى لا تقوم به حجة ، ولعل اسم مروى المعاصرة هو أيضا اسم قديم استعير من اسم البلد التى هى أقدم منه والله أعلم .

ويزعم عزانا الحبشى ملك أكسيوم أنه غزا البجراوية أى مروى القديمة وأحرق ما كان بها من مزارع القطن .

ولا يخفى أن هذا غير القطن الذى أدخل زراعته الحكمدار ممتاز باشا فى أرض توكر فى القرن الماضى .

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة من مؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذى القعدة ١٤١٥ هـ الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م .

وفى الموسوعة البريطانية أن القطن قد يكون أول من زرعه السبئيون ، فإن كان ملك أكسيوم من السبئيين فقد ترى أنه قد وجد منه مزارع فى أرض النيل بناحية البجراوية فأهلها أولى بأن ينسب إليهم أول التوسع فى زراعة القطن .

٢ - هذا ، وفى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى فى طيبة القطرية - أن الحبشة الوسطى مبدؤها من عيذاب جنوب مصر ونهايتها باضع وهى شمال مصوغ ولا يخفى أن هذا هو ساحل السودان ، وقد أعاد طبعه الشيخ حمد الجاسر عالم الجزيرة وعضو المجمع جزاه الله خيراً .

٣ - وفى سيرة ابن هشام فى خبر رؤيا ربيعة ابن نصر أن أحد الكاهنين قال ، أقسم برب الحرتين من حنش ليملكن أرضكم الحبش، والآخر قال أقسم بما بين الحرتين من إنسان ليملكن أرضكم السودان .

فالحبش والسودان كأنهما مترادفان .

والحبشة وإثيوبيا كأنهما مترادفتان .

ويقال إن معنى إثيوبيا بلاد السودان .

ويذكر بعض علماء الآثار أنه يجوز أن يكون من معانى إثيوبيا (بلاد الطيب) .

ويوجد اسم ثيبا أو طيبا فى بلاد السودان وفى مصر وفى بلاد اليونان، فكأنه يدل على البلاد التى يجلب منها أو إليها الطيب .

وفى السودان أخشاب طيب كثيرة - منها الشاف وهو ضرب من الطلاح والكليت والهبيل وأصناف أخرى ، وعادة الدخان معروفة فى السودان وهو نوع من الحمام الساخن يكون أحيانا علاجا من الرطوبة وأكثر ما تستعمله النساء لتجميل البشرة . وفى أشعار العرب ذكر نيران توقدها النساء ، **قال الشماخ** :

رأيت وقد أتت بخران دونى
وحالت دون أرحلنا الدير
لليلى بالبويرة ضوء نار
تلوح كأنها الشعرى العبور

وفى المعلقات أنها توقد بالعود ، **قال اليشكرى .**

أوقدتها بشخصين بعود كما يلوح الضياء

وقال العبادى :

ياسليمى أوقدى النارا
إن من تهوين قد حارا
رب نارٍ بت أرمقها
تعضم الهندى والفارا
وبها ظبى يؤهجها
عاقد بالخصر زنارا

وقال كثير :

وماروضة بالحزن باكرها الندى
يج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا

إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

وقد تكون تلك النار توقد بأخشاب دون الصندل والمندل فى الطيب فيجعلها الشعراء صندلا ومندلا على سبيل التزيد والمبالغة كمزعمهم أنهم أبدا على ظهر ناقة أو بعير وقد لا يكون مركب الشاعر إلا قدميه أو حمارا ، وقلما يذكر الحمار فى الشعر مُفْتَخَرًا به مع أنه قد كان من أكثر مراكب العرب . قال تعالى : «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» .

وقال تعالى : «وانظر إلى حمارك» . وقال تعالى : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »

٤ - ومما يدل على أن الدخان كان معروفا من عادات الطيب عند العرب قول الآخر وهو فى ديوان الحماسة :

آليت لا أدفن قتلاكم

فدفنوا المرء وسرباله

٥ - وفى سيرة ابن هشام وهو أيضا فى الحديث الشريف مروى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها أن النجاشى حاربه نجاشى آخر وكان بينهما عرض النيل وأن سيدنا الزبير بن العوام نفخت له قربة فعام ثم عاد وأخبر سيدنا جعفرا وأصحابه أن نجاشيهم قد انتصر على خصمه . وهذا الخبر يدل على أن الحبشة التى أمها الصحابة فيها نيل يعام ، وحبشة أكسيوم أنهارها سريعة الجريان رهيبة لا يقدم أحد على السباحة فيها وهى تمر بأيٍّ جارف ، ومنطقة أديس أبابا لم تدخل فى ملك الدولة الإثيوبية الحديثة إلا فى أيام منليك أو قبله بقليل .

٦ - لا يزال المزورون بالمدينة يعرفون أهل السودان باسم الحبش وعلى ذلك الكتاب الموسوم باسم الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش . وبحسبنا هذا القدر عن العلم الجغرافى (الحبشة) .

أدوليس :

فرضة على البحر فى ناحية مابين مصوع وحلايب فى الزمان القديم ونجدها فى الخرائط القديمة أحيانا أقرب إلى موضع مصوع وأحيانا أقرب إلى موضع سواكن ، وهى من فرضات الفراعنة القدماء .

قال الشاعر وهو طرفة بن العبد :

عدولية أو من سفين ابن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهتدى

وعند الشراح أن العدولية هى السفنية العظيمة . وبذلك فسروا هذا الحرف فى شعر أبى دؤاد .

وعندى أن عدولية هنا منسوبة إلى عدولة وهى أدوليس بالنطق العجمى من طريق البطالسة

أو نحوهم من الروم أو الإفرنج .

وهذا الحدس مما يرجحه قول « ابن يامن » فدل على أنها سفن تمخر فى البحر متاجرة ببضائع ابن يامن هذا وملاحيه ، وابن بلاريب « بنيامين » فهو تاجر يهودى . وهذا الاسم عينه ذكره امرؤ القيس حيث قال يذكر تمراً وبساتين بناحية المشقر :

حمته بنو الربداء من آل يامن
بأسيافها حتى أقر وأوقرا

فذكر آل يامن كما ترى . وقوله بنو الربداء يوقف عنده – قال الآخر :

أسد علّى وفى الحروب نعامة
ربداء تنفر من صفير الصافر

ولون الربدة يضرب إلى السواد .

قالوا وكان بنو عامر يغلب عليهم لون السواد ومنهم أربد الذى أصابته الصاعقة وهو أخو لبيد الشاعر لأمه ، فهل كان هذا لقباله ؟

وإن كان بنو يامن الذين ذكرهم طرفة وامرؤ القيس يهودا سودا فهل هم من الفلاشة أى اليهود السود ؟

ويقال إن هؤلاء من نسل سيدنا موسى لأن سيدنا موسى كانت له زوجة إثيوبية كما فى سفر السدد من التوراة ، فهل أخطأ الشاعران فنسبا بنى موسى عليه السلام إلى بنيامين عليه السلام ؟ الله أعلم .

علوة :

ذكرت الدكتورة الأديبة العالمة فى تحقيقها لرسالة الغفران عند قول المعرى فى سِينيَّتِه التى أوردها على لسان الجن :

تحملنا فى الجنح خيل لها
أجنحة ليست كخيل الأنيس
تقطع من علوة فى ليلها
إلى قرى شاس بسير هميس

أنها لم تجد علوة فى المراجع .

وهذا عجب ، فعلوة اسم معروف فى تأريخ الحبشة القديم أنها اسم للإقليم الذى عاصمته « سوبا » أو « سبا » كما ينطقها بعضهم ، وقد انقسمت دولة البجراوية القديمة إلى طائفتين إحداهما عاصمتها دنقلة العجوز شمالى الشلال الرابع وتسمى « المقرة » ويختلفون فى نطقها فيقال المَقَرَّة والمُقْرَة وعندى أن الوجه الثانى أرجح لأن كلمة المُقر مستعملة إلى الآن ويُعْنى بها مكان تجمع الماء وهو حق الزراعة ، وأحسب أن جزيرة مقرات اشتقاق معناها من هذا . لأن الماء حولها كالحوض ، وأصل الكلمة عربى أو مشترك بين البجراوى القديم والكوشى والعربى ، وقال امرؤ القيس .

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها
لما نسجته من جنوب وشمأل .

وقال أبو تمام :

ولو كان يغنى الشعر أفناه سافرت
حيا ضك منه فى العصور الذواهب

هذا والطائفة الأخرى عاصمتها سوبا وهى مملكة علوة ولعلها سميت بهذا لوقوعها فى أعالٍ من حوض النيل وأحسب المعرى يشير إلى شىء من هذا فى قوله :

وما قام فى عليا زغاوة منذر
فكيف لجسم ينتجين إلى بقع

وهو بهذا ينكر أن يكون قد قام فى الحبشة نبىٌ ، ردّاً بذلك على من قال بنبوة لقمان الحكيم وقد قيل إنه حبشى وزعم بعض المفكرين أنه كان عبداً لداود عليه السلام واحتج ابن كثير بأن العبودية تمنع أن يكون نبيا وغفل عن أن يوسف عليه السلام وهو نبى « شروه بثمن بخس دراهم معدودة » والله أعلم .

سوبا - سبا -

موضع بالسودان بالقرب من الخرطوم - هل له صلة بسبأ الأقدمين ،إن يك ذلك فلعل هذه الكتابة التى أعيت قراءتها علماء الآثار على برابى أهل البجراوية .

وملوكهم القدماء من أصل سابق للسبئية ومنه اشتق الخط المسمارى .

وفى الكتاب المقدس « شيبا » وفى ناحية البركل موضع يقال له « شيبا » ومن أسماء الكتاب المقدس « بت شيبا » وهى التى يزعمون أنه رآها نبى الله داود « وخر راكعًا وأناب » كما فى سورة «ص» لا كما يزعمون من أنه تابع فيها هواه فهو نبى معصوم وهذا عندنا من التحريف الفاسد كما لا يخفى . وهل وقع خلط عند رواة الكتاب المقدس بين « بت شيبا » هذه وبين بلقيس فهى بنت سبأ ؟ وهل وقع خلط عندهم بين سليمان وداود فجعلوا بزعمهم أن سليمان عليه السلام ابن « بت شيبا » وما كانت إلا زوجته إن استفيد هذا المعنى من قولها : «وأسلمت مع سليمان » ومن الذى يذكره المفسرون من أمر شعر ساقيها واستعمالها النورة لإزالته - الله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الدكتور عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان